كلمة الأستاذ الدكتور

محمود يوسف علي مكي

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

عام 1408هـ / 1988م

صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية
أصحاب السمو الملكي الأمراء
أصحاب الفضيلة العلماء
أصحاب المعالي الوزراء
أيها الحفل الكريم

الحمد لله الذي آتانا من فضله مالا تفي به ألسنة الحامدين، وأسبغ علينا من نعمه وآلائه ما لا يحيط به ذكر الشاكرين، وصلى الله على سيدنا محمد ورسوله الكريم، وعلى آله وصحبه ومن تبع ملته، واهتدى بهديه، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد، فإني لست ادري كيف أصور مشاعري وأنا على هذه الأرض الطاهرة التي بارك الله فيها، وفي هذا الحفل المهيب الذي أُشرف فيه بالمثول بين يدي سمو الأمير نايف ممثل خادم الحرمين الشريفين وأمام هذه الصفوة من علماء أمتنا التي أكرمها الله فجعلها خير امة، وأنزل فيها كتابه بلسان عربي مبين.

لست أدري كيف أصور هذه المشاعر، وهي مزيج من رهبة المقام، ومن فيض السعادة بقيامي في هذا المحفل، وبتلك الجائزة التي شرفتموني باختياري لنيلها، وهو شرف أرجو أن أكون جديرا به، قائما بحقه.

لقد كان إنشاء جائزة الملك فيصل العالمية في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة بعد الألف حدثا ثقافيا وعلميا يستحق أن يسجل بحروف من نور، إذ كان شاهدا على أن أمتنا الإسلامية العربية بعد أن قطعت أربعة عشر قرنا من مسيرتها في التاريخ مازال حاضراً موصولاً بماضيها، وعلى أننا على مشارف نهضة جديدة تعود فيها إلى التماس أصالتنا الحقيقية في تراثنا المجيد. فمنذ أن أضاءت هذه الأرض بنور الإسلام كان العلم أول ما أمرنا الله تعالى بطلبه، فكانت أول آية نزلت على رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) هي: (إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم، الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان مالم يعلم). وفي جديث مأثور عن نبينا الكريم (عليه الصلاة والسلام): "طلب العلم فريضة على كل مسلم" وفي حديث آخر: "من سلك طريقاً يلتمس فيها علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة".

وفيي هدى هذه المبادئ السامية المستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه الكريم سار أسلافنا العظام، فأصبحت أمتنا مجتمعاً يدين بأن العلم هو الطريق إلى صلاح الدنيا والآخرة، واستطاعت أن تحقق من المنجزات في جميع ميادين المعرفة مالم تحققه أمة من قبل.

ولعل الأندلس من خير الشواهد على تلك الشعوب التي تحولت بفضل الإسلام إلى مجتمع مثقف بمعنى الكلمة. والواقه أن الأندلس لم تفتح بفضل القوة العسكرية بقدر ا فتحت بتعاليم الإسلام ومبادئه. فالجنود الذين دخلوا هذه البلاد في أول فتحها – ولم يكن قد مضى على وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا سبعة عقود– لم يتجاوزوا بضعة آلاف ومع ذلك فإننا لا تلبث أن نرى على تلك الأرض شعباً تفتحت قلوب أهله للإسلام والثقافة العربية، فإذا بهم وكانهم قد خلقوا خلقاً جديداً، طموحين إلى الاخذ بكل أسباب المعرفة مقبلين على كل ضروب العلم. وسرعان ما بهرت تلك الحضارة الأندلسية أنظار من يجاورهم من شعوب أوروبا التي كانت غارقة في ظلمات الأمية والجهل، فرأينا الراغبين منهم في المعرفة يترددون على حواضر الأنجلس لكي يأخذوا من علماء المسلمين، فيترجمون وينقلون، وعلى هذه الترجمات والنقول قامت النهضة الأوربية التي أبلغت أوربا ثم أمريكا من بعدها ما نراه اليوم من تقدم علمي، ولو أنه تقدم تنقصه تلك الأسس الروحية والقيم الخلقية التي قامت عليها حضارة الإسلام.

ولقد كان من حظي أنني قضيت سنوات طويلة من عمري في الاشتغال بالدراسات الأندلسية. وأسعدني أن مؤسسة جائزة الملك فيصل العالمية والقائمين عليها قد خصصوها خلاب هذه السنة لتلك الدراسات، ثم كان من حظي وحظ أخي وزميلي الدكتور محمد بن شريفة أن منحنا هذه الجائزة الكبرى، فكان ذلك شرفا لنا ودليلا على أن المؤسسة الجليلة في حرصها على تراثنا العربي الإسلامي شرقية وغربية لم تهمل ذلك التراث الأندلسي الذي عظمت به رياح الجهل والتعصب ولكنه يعود اليوم لينتصب ماثلا أمامنا بكل جلاله وروعته.

ومن جديد يسعدني أن اعبر عن شكري لمؤسسة جائزة الملك فيصل العالمية وللقائمين على شئونها وللجان التحكيم التي أحظتني ذلك الشرف المضاعف لاقترانه باسم صاحب الجلالة الملك فيصل رحمه الله الذي لا نبرح نذكر مآثره الكثيرة وخدماته الجليلة لقضايا الإسلام والعروبة.

ولا يفوتني في هذا المقام أن انوه بفضل أصحاب السمو الأمراء أبناء ذلك الملك الجليل الذين يرعون الجائزة، وبخاصة سمو الأمير خالد المشرف على المؤسسة. ولا شك في أن هذا التشجيع الذي يقدمه ذلك الصرح العظيم من صروح المعرفة في جميع المجالات من آداب وعلوم ودراسات إسلامية وخدمة للإسلام إنما هو دليل جلي على أن أمتنا الإسلامية بخير وعلى أن قادتها من أبناء هذه الجزيرة المباركة التي انبثق منها نور الإسلام مازالوا هم حاملي شعلة ذلك النور الجديد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته